المعجم
في الأساليب الإسلامية والعربية

تصنيف

محمد أديب عبد الواحد جمران

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جمران، محمد أديب عبدالواحد

المعجم في الأساليب الإسلامية والعربية- الرياض.

٧٥٠ص ؛ ١٧ × ٢٤سم

ردمك ٤-٥٥٨-٢٠-٩٩٦٠

١- طرق البحث أ- العنوان

ديوي ٤٢٠٣، ٠٠١ ٢٠/١١٢٥

رقم الإيداع : ٢٠/١١٢٥ ردمك ٤-٥٥٨-٢٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

لغات الحضارات واسعة وبحرها عميق، ويحوي اللآلئ والدرر، وفي مقدمة هذه اللغات اللغة العربية، لغة القرآن، وحسبنا ذلك.

لقد نضجت اللغة العربية حتى أصبحت تليق بحمل آخر رسالات الله إلى عباده، لتكون الرسالة واضحةً، دقيقةً، لا يتطرق إلى مدلولها الشكُّ، ولا يعتري معناها الوهم، ولتفهم في كل زمان، ولا تتغير مع مرور الزمن، ولا تتبدل مع نظرات الإنسان.

وفي اللغة العربية جمال، جمال في الكلمة، وجمال في الجملة، وجمال في الأسلوب، وجمال في المنهج، ولهذا فهي ثوب تَلْبسه القصيدة، والخطبة، والمقالة، والحكمة، والمثل، فيبدو عليها جميلاً جذاباً، إذا تطرق لهذه الأمور متضلع في اللغة: نحوها، وصرفها، وبلاغتها، وتاريخها، وعصور تطورها، لأنه عن هذا الطريق يعرف أسرارها، وفي أسرارها يكمن السحر.

واللغة العربية، مثل بقية اللغات العريقة، لا تؤخذ في المعاجم، بل المعاجم تنشأ منها، ولكن المعجم المعتاد لا يحمل تاريخ الكلمة، كيف ولدت، وكيف ترعرعت، وكيف استوت، ونضجت؛ وتَبَيَّنَ من هذا لمحبي اللغة العربية أنه لا بد من معاجم تبين أكثر من معنى الكلمة، وتوضح محيطاً أوسع من المدلول القريب لها، فجاءت معاجم تتحدث عن تعبيرات، وجمل، وتشع نوراً على تاريخها وتطورها؛ ولهذا أصبحت اللغة العربية رائدة في تنوع المعاجم فيها، وطريقة النهج الذي سلكه كل مؤلِّف في معجمه، ووصل الاستقصاء أن بعض المعجميين

اختاروا الطريق إلى معرفة المعاني للكلمات التي رُتِّبَتْ الحروفُ فيها بناءً على ما ورد في أول الكلمة، وآخر اختار آخر الكلمة؛ إلى أنْ تشبّع هذا الباب من المعاجم، المختصرة، والمطوّلة، وتلك التي جاءت بالكلمة ومعناها، وتلك التي لم تقتصر على ذلك وإنما استطردت تعطي معلومات تضع هالة من النور الساطع على الكلمة، مما أعطى علماً وفنّاً.

ويَأْتي محمد بن الحسن بن دريد، وهو الخبير باللغة،ومعجماتها، فيجدُ أنَّ هناك مدخلاً للإبداع في التصنيف المعجمي يسد النقص، ويفضي إلى إفادة القارئ بما خلف الألفاظ، مما يعطي فرصة لإطلالة على ما خفي من اللغة، ويؤلف كتابه :« كتاب الاشتقاق » بعد معجمه المعجب « جمهرة اللغة »، ويخدم « كتاب الاشتقاق » ثلاثة أغراض:

١) الاشتقاق اللغوي لأسماء القبائل والرجال.

٢) بسط القول في المادة اللغوية التي اشتقت منها هذه الأسماء.

٣) تفسير الآثار الدينية والأدبية التي تَمُتُّ بصلة إلى تلك المواد.

٤) بيان أسماء قبائل العرب، وبطونها، وأفخاذها، وتشعب بعضها من بعض.

٥) إمداد الباحث بكثير من المعارف التاريخية النادرة التي تتعلق بقبائل العرب، ورجالها، وبعض من يمت بصلة تاريخية إلى تلك القبائل، وإلى أولئك الرجال (راجع المقدمة القيمة التي كتبها الأستاذ عبد السلام محمد هارون، لكتاب الاشتقاق).

إذاً ابن دريد استفاد من منهج المعاجم، ليصب في ذهن القارئ معلومات

مهمة، عن طريق اللفظ، الذي اتخذ مدخلاً لروضٍ أغَنَّ، وحديقةٍ فيحاءَ؛ وهذه طريقة موفقة لسلوك طريق جديد يغري بالمتابعة والمسايرة.

ويأتي محمد بن أبي ثابت، فيجدُ أنَّ بإمكانه أنْ يبتدعَ معجماً فريداً، يسبق إليه، ويرى أن أعضاء الإنسان حولها معلومات ثرة، مفيدة، أو طريفة، فيجعلها أساساً لمعلومات يوافي بها القراء، بجدارة ومقدرة، فيؤلف كتابه: «كتاب خلق الإنسان».

ويؤمن محمد بن القاسم الأنباري بسعة اللغة العربية، وعمقها، بعد علم وخبرة منه، فيجد أن هناك مدخلاً لمعجم سوف يكون فريداً، وقد لمس أنَّ في اللغة العربية كلماتٍ لها معنى ولها ضِدٌّ هذا المعنى، وهو أمرٌ يوجب الالتفات، ولهذا ألَّف كتابَهُ: «كتاب الأضدادّ، وهو فتح في تقدم المعاجم، وسبب من أسباب تميز اللغة العربية في المعاجم، وريادة أهلها فيها، واقتباس أناس لما سبق إليه العرب.

ومن علماء اللغة العربية الذي ساهموا في خدمة مفردات اللغة ومعانيها وفكروا في جانب إبداع يظهرون به على الناس، ويتميزون به عليهم، ويميزون اللغة على غيرها به: أحمد بن فارس بن زكريا؛ وهذا العالم قد ألف: «معجم مقاييس اللغة»، بعد أن حَذِقَ اللغة، وعرف أسرارها، وغاص على أصولها، فردَّ مفرداتٍ موادها إلى أصولها المعنوية المشتركة، ووفق في هذا، كما يقول الأستاذ المحقق عبدالسلام محمد هارون؛ وابن فارس بن زكريا، انفرد بين أمثاله من اللغويين بهذا النهج، فلم يُسبق، ولم يُلحق، ولعل الوحي جاءه من الإبداع في «كتاب الاشتقاق»، وما جاء به مؤلفه من ردٍّ الأسماء إلى أصولها.

وتغلب طريقة المعجم على أحد العلماء وهو أبو البقاء العكبري، فيجد أن كتاباً مطلوباً، ومفضَّلاً، يأتيه النقص من بعض جوانبه، فوجد أن الدواء في أن

يأتي المنهج فيه على طريقة معجم، ليسهل الرجوع إلى مافيه من مواد مفيدة، ولا غنى للإنسان عنها، فأخذ كتاب «إصلاح المنطق»، فرتبه على حروف المعجم، وسماه: «المَشُوف المُعْلَم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجمٌ»، فأضيف إلى أنواع المعاجم معجمٌ، وخُدِمَتِ اللغةُ خدمةً جُلَّى في جانب من جوانبها، واستفاد طالب العلم فائدة متناهية.

ونجد بين ما يمكن أن يعتبر من المعاجم كتاب «الخصائص» لعثمان بن جني، وفي هذا الكتاب إبداع، وعناية بالكلمة في ضوء حروفها، لم يكن بالإمكان التصدي له إلا من رجل خارق للعادة في الفكر واللغة، ويكفي أنه مبتدع في استيفائه ما جاء فكرةً عابرةً عند غيره، وأضاف على رف مكتبة المعاجم كتاباً له منهجهُ المتفرد؛ وقد يشعر قارئ المادة أنه قد يكون هناك اقتسارٌ في الحكم في تغيير موقع الحروف من الكلمة، وما يدخلها في الحكم العام، الذي أصدره المؤلف مقدماً، إلا أنّ هذا الشعور يتلاشى عند التسويغِ والشرح، وتُقاد برسن ليّنٍ إلى مشاركة المؤلف رأيه.

ولو تتبعتُ الكتب التي تعد معاجمَ في خدمة اللغة، لأبعدتُ في القول عن هدفي، وهو كتابة تمهيد لكتاب؛ والكتب التي تَرَكْتُ أكثرُ ممّا ذكرتُ، وكلها تنحو نحواً مبتدعاً، ومن هذه الكتب: «الزاهر» لمحمد بن القاسم الأنباري، و «المرصّع» في الآباء والأمهات والبنين والبنَات، والأذواء والذوات، وهو كتاب يدل فعلاً على رقي اللغة العربية واتساعها، والكتاب يزيد عن أربع مائة صفحة، وممتع، وفيه من المفاجآت شيء كثير. وكتاب: «إكمال الإعلام بتثليث الكلام» وهو كتاب يدل اسمه عليه، لأنه يستقصي الكلمات التي يُضم أولها أو يُفتح أو يُكسر؛ وهذا أمر يخص اللغة العربية، ولا يوجد في غيرها، وهو لمحمد بن عبدالله

ا بن مالك الجياني، رواية محمد بن أبي الفتح البعلي. وكتاب :« المنتخب من غريب كلام العرب » لعلي بن الحسن الهنائي، المعروف بكراع النمل. وكتاب : « ليس في كلام العرب » للحسين بن أحمد بن خالويه، « والبارع في اللغة » لأبي علي اسماعيل بن القاسم القالي. و« كتاب الإبدال » ليعقوب بن السكِّيت، ويدل عليه عنوانُه، وفيه حصر للكلمات التي يبدل فيها حرف مكان حرف، ويبقى المعنى ثابتاً، ونهج فيه منهج المعاجم.

وهذا كله قليل من كثير، وهو يؤكد أهمية اللغة العربية، وجاذبيتها للعلماء لخدمتها، لكثرة المجالات المهيأة فيها لذلك. وما كُتب حتى الآن لا يُعد نهائياً في هذه الجوانب، وإنما يتوقع أن يستمر العلماء يتلمسون سبل خدمة اللغة على هذا المنهاج.

ومن هذا المنطلق أجد نفسي مشدوداً لكل محاولة لخدمة اللغة العربية، أو الدفاع عنها، أو بيان قوتها، أو جمالها، أو تبيان الطرق السليمة للاستفادة منها، أو الإفادة بها؛ لهذا الْتَفَتُّ إلى المجهود الذي بذله الأستاذ محمد أديب عبدالواحد جمران في محاولته خدمة اللغة العربية أسوةً بمن سبقوه في مجال المعاجم، وقد اختار عنوانا يدل على ما سوف يندرج تحته من عمل، وسماه :« المعجم في الأساليب الإسلامية والعربية »، وأرجو أن يجد مكانه قريباً بجانب ما يوجد على رف المعاجم العربية اليوم، وأن يكون فيه من الفائدة ما أمله مؤلفه.

والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد

١٠/٧/١٤١٩